

السنة السادسة وأربع مئة

فيها مَنَعَ فخرُ الملك^(١) يومَ عاشوراء من النَّوحِ مخافةَ الفتنة^(٢).

وكان الشريف الرضي [أبو الحسن محمد بن الحسين بن محمد الموسوي] قد تُوفِّي في خامس المحرَّم، فاشتغلوا به.

وكان قد وقع بالعراق وباءً عظيم، خصوصاً بالبصرة، حتى عجز الحفَّارون عن حفر القبور^(٣).

وفي يوم السبت ثالث صفر قُلد الشريف المرتضى نقابة الطالبين والحجَّ والمظالم بإشارة سلطان الدولة وفخر الملك، وكتب القادرُ تقليده، وجمع الناس في دار المملكة، وحضر فخرُ الملك والناسُ على طبقاتهم، فكان في عهد الخليفة: هذا ما عهدَ عبد الله أبو العباس أحمد الإمام القادر بالله أمير المؤمنين إلى علي بن الحسين بن موسى العلوي، حين قرَّبته إليه الأنسابُ الزكية، وقَدَّمته لَدَيْهِ الأسبابُ القوية، واستظلَّ معه بأغصان الدوحة الكريمة، واختصَّ عنده بوسائل الحرمة الوكيدة، وكان راجعاً من طيب المناصب والعناصر، واستحكام الوسائل والأواصر، إلى ما يفضله بالمزية، ويقتضي له توفير العطية، ويُجِّله في دولة أمير المؤمنين حلولَ التخصيص، ويدخله فيها دخولَ التحقُّق حين أوجب له الاستقلالُ المحبورُ، والاضطلاعُ المشهورُ، تَقَلَّدَ الأعمالِ وولايتها، وتحمَّلَ الأثقالَ وكفائتها، وحين رُوِيَ لشَيْخِهِ الحسينِ رحمه الله حقوقَ الموالاةِ التي قَدَّمَهَا، والطاعةِ التي أسَلَفَهَا، وخدمته الخلفاء المهديين صلوات الله عليهم أجمعين، وحين مهَّدَ له سلطانُ الدولة عند أمير المؤمنين الأواخي^(٤) الكثيرة، وقرَّرَ لديه المنزلة الكبيرة، ونَبَّهَ على عقله الأصيل، ورأيه الرِّصين، وعلمه الراجح، وفضله الزائد، وحين أثنى عليه فخر الملك - أبو غالب مولى أمير المؤمنين - الثناء الطويل، وذكره بالجميل، وشهد له بالخلال الحميدة، والخصال الرشيدة، والمقاصد السليمة، واستدعى له من حضرة أمير المؤمنين الإحسان الذي يستحقُّه بالسالف من ذرائعه، والقديم من وسائله، قَلَّده الحجَّ الذي هو من معالم أمور الدين، والمظالم التي

(١) في (م): فخر الدولة.

(٢) الخبر في المنتظم ١١١/١٥، والكامل ٢٦٣/٩.

(٣) الخبر في المصدرين السابقين.

(٤) الأواخي، جمع آخية: وهي العروة التي تُشدُّ إليها الدابة. الصحاح (أخو).

هي من أكبر مصالِح المسلمين، ونقابة الطالبين، والمتعلقة بالملاحظة من أمير المؤمنين، في شرق الأرض وغربها، وقريب الأعمال وبعيدها، متمسكاً بالثقة في دينه، والنصرة في أمانته، ومعتقداً أن الإمام قد أحكمته أحكام التثقيف والتهديب، ووثقته أقسام التحنيك والتجريب، وأن الصنعة عنده واقعة في الكفو الوفي، والعدل الولي، والرجم الواشجة التي تُدنيه، والأرومة الشامخة التي تُعليه، والدواعي التي تُوجب له مزيد الاختصاص، وفضيلة الاستخلاص، والله يمد أمير المؤمنين بالتوفيق المُبلغ إلى الصواب، والتأييد الموصِل إلى الأغراض، ويُعينه على ما يتوخاه من اختيار الولاة الصلحاء، والكفاة النصحاء، وحسب أمير المؤمنين الله ونعم الوكيل. وقرئ عهد سلطان الدولة بمعناه.

وفي آخر صفر ورد الحاج، وقد تلى منهم خلق كثير من العطش، كانوا عشرين ألف جمل، فوصل منها ستة آلاف جمل، وهلك الباقي^(١).

وفيها وصل سلطان الدولة من شيراز إلى الأهواز، فكتب إلى فخر الملك يستدعيه، فاستشعر من أبي الخطاب، وكتب يطلب مردوست، فقدم عليه فعرفه إشفاه من أبي الخطاب، ثم انحدر إلى الأهواز ومعه المناصح الجرجاني، واستحلف له أبا الخطاب، فلما وصل إلى الطيب^(٢) جاءته كتائب سلطان الدولة تقول: قد كاتبناك بالتعجيل إلى حضرتنا، وحاجتنا إلى الاجتماع معك ماسةً، وبلغنا أن الأولياء بواسط خاضوا في منعك من الإمام إلينا، فإن كان ذلك كذلك فنحن معك بين أن تُخالفهم وتبادر إلى ما أمرناك به، وهو الأولى، أو تتأخر، فالضرورة تدعونا إلى المسير بنفسنا. فسار مُجداً، فلما وصل الأهواز تلقاه سلطان الدولة والعساكر، وأكرمه واحترمه، ولما نزل جاءه أبو منصور مردوست، وجمع بينه وبين أبي الخطاب ليلاً، ومشى فخر الملك إليه، وعاتبه أبو الخطاب، وتلطف به فخر الملك، وتحالفا وتعاهداً، وصلحت الحال صلاحاً تاماً، وكانت الميرة قد ضاقت على سلطان الدولة، وعدمت الأقوات، فكتب فخر الملك الأطراف، وجلب الغلال والميرة، فأتسع الشيء على الناس، ثم حمل فخر الملك على سلطان الدولة الهدايا والتحف والطرف،

(١) الخبر في المنتظم ١١٢/١٥ .

(٢) الطيب: بليدة بين واسط وخوزستان. معجم البلدان (طيب).

وحمل إلى جميع الحاشية المال والثياب ومراكب الذهب والملابس الفاخرة، حتى قالوا: ما لِسُنّا مثل هذه. وأقام شهرين ونيّفاً وعشرين يوماً، ثم وقع الاتفاق على عودِه إلى بغداد ليقرّر الأمور، وخلعَ سلطانُ الدولة عليه الخلعَ الجليلَةَ في شعبان بالسيف والمنطقة، وعليها الجواهر والقبا، وحمله على مراكب الذهب، وقادَ بين يديه الجنائب^(١)، على كلِّ مركبٍ ألفُ مثقالٍ من الذهب، وخلع على جميع أصحابه الخلعَ النفيسة، وحملوا على الخيل بمراكب الذهب.

وفيها وصل الأميرُ أبو الفوارس ابنُ بهاء الدولة إلى محمود بن سُبُكْتِكِين من كرمان إلى خراسان، فتلقاه وأحسن إليه، وأقام عنده أياماً، وجَهَّزه بالمال والعساكر إلى كرمان، ولم يرضَ أموره، وبدت منه أسبابٌ أوجبت إبعاده عنه، فإنه كان إذا ركب إلى خدمة محمود يركب بالمنجوق، ويدخل عليه والدليلم يمشون بالسلاح بين يديه، فمنعه من ذلك، وجرى بينه وبين دارا بن قابوس بن وشمكير ما جرى، بأن افتخر عليه أبو الفوارس وتعاضم فسقط من عين محمود.

وفيها غزا محمود بن سُبُكْتِكِين بلادَ الهند على رسمه، فضلاً أدلأؤه عن الطريق، وحصل في مياهٍ فاضت من البحر، فغرق كثيرٌ ممن كان معه، وخاض الماء أياماً بنفسه، وتخلّص وعاد إلى خراسان، وكان محمود يركب الأخطار في أسفاره، ويهلك معه الخلق الكثير من الجند والمطوّعة، والجمال والخيل وغيرهما، ورُبّما صحبه خمسون ألفاً وأكثر، فيعود في خمسة آلاف، ولَمّا عزم على هذه الغزاة تخوّف من كثرة الأنهار، وضيق المسالك، فقصد مدينةً على بابها نهرٌ عريض لا يُمكن الخوض فيه، فتقدّم بين يديه جماعةٌ فغرقوا، فخاض بنفسه معتمداً على السلامة في معظم أوقاته، وقصد أن يطوي خبره عن أهل البلد، فخاض بعيداً عنه، وزاد الماء في ذلك الوقت، فغرق من الناس والجمال شيءٌ كثيرٌ، وحمل الماء ذلك إلى باب البلد، فقال أهله: هذه والله مخائلُ محمودٍ ومكايده. فاخذ المليك ما قدّر عليه من الأموال والجواهر والأهل وصعد الجبل، وكذا فعل أهلُ البلد، واعتصموا بالقلاع، ووصل محمود إلى

(١) الجنائب، جمع جَنِيبة: وهي الدابة التي تُقاد، ويقال: فلانٌ تُقاد له الجنائب بين يديه؛ إذا كان عظيماً. المعجم الوسيط (جنب).

المدينة وقد غرق أصحابه، ولاقى شدايد، فلم يجد فيه أحداً، وقد أحرقوا الأقوات والعلوفات، فرجع ولقي في طريقه أهوالاً، حتى ورد خراسان.

وفيها ولّى الحاكم ساتكين سهم الدولة دمشق، وعزله سنة ثمان وأربع مئة. ولم يحجّ أحد في هذه السنة خوفاً من العرب والعطش [والجوع]^(١).
وفيها توفّي

أحمد بن محمد بن أحمد^(٢)

أبو حامد، الإسفراييني، الفقيه، الشافعي، قدم بغداد وهو حدث، وأقام مشتغلاً بالعلم، حتى انتهت إليه الرياسة، وعظّم جاهه عند الملوك والعامّة، وكان يُدرّس في مسجد عبد الله بن المبارك في قطيعة الربيع، ويحضر درسه من المتفقهة سبع مئة، وكان الناس يقولون: لو رآه الشافعي فرح به. وكان يُحمل إليه من البلاد الزكوات والصدقات فيُفرّقها، ويُجري على فقراء أصحابه في كل شهر مئة وستين ديناراً، وأعطى الحاج في بعض السنين أربعة عشر ألف دينار، وكان يتوسط بين القادر ومحمود بن سُبُكْتِكِين، وكان مقدّماً عند عميد الجيوش، وفخر الملك، وتوفّي ليلة السبت لإحدى عشرة ليلة بقيت من شوال، وله ثلاث وستون سنة، ودُفِن بداره، ثم نُقِلَ إلى باب حرب سنة ست عشرة وأربع مئة، وكان ثقةً ديناً صالحاً.

عبيد الله بن محمد^(٣)

ابن أحمد بن علي بن مهران، أبو أحمد، الفرضي، المقرئ؛ قال منصور بن عمر الكرخي: لم أر من تعلّم العلم لله خالصاً لا يشوبه شيء من الدنيا غير أبي أحمد الفرضي. وكان أروع الناس، يبتدئ كل يوم بتدريس القرآن، ويحضر عنده الشيخ الكبير

(١) ما بين حاصرتين من (م) وحدها.

(٢) تاريخ بغداد ٤/٣٦٨ - ٣٧٠، والمنتظم ١٥/١١٢ - ١١٣، والأنساب ١/٢٣٧ - ٢٣٨. وينظر السير ١٧/١٩٣.

(٣) تاريخ بغداد ١٠/٣٨٠ - ٣٨١، والمنتظم ١٥/١٣ - ١١٤، والأنساب ٩/٢٧٢ - ٢٧٣، واللباب ٢/٤٢٢.

قلت: وتحرف اسمه في النسخة الوحيدة لهذه الترجمة (خ) وفي المنتظم إلى: عبد الرحمن. والتصويب من باقي

مصادر الترجمة، وهي في السير ١٧/٢١٢.

وذو الهيبة، فيُقدّم عليه الحدّث لأجل سَبِّهه، ثم يقرأ الحديث بنفسه، فلا يزال كذلك حتى يبلغ النّهاية من جهده، وهو جالسٌ على حالةٍ واحدةٍ لا يعبُثُ بشيءٍ من أعضائه، ولا يُمازح أحداً، وكان مع أهله على هذا الوصف، وأقام عشرين سنة لم يضحك، وكتب إليه أبو حامد الإسفراييني رُقعةً شفاعيةً في رجل يقرأ القرآن، فغضب ورمى الرُقعة من يده، وقال: لا أقرأ القرآن بشفاعة.

وكانت وفاته في شوال، وقد بلغ اثنتين وثمانين سنة، ودُفِنَ في مقبرة جامع المنصور، وكان إماماً زاهداً عابداً ورعاً ثقةً.

محمد بن الحسين^(١)

ابن موسى بن محمد بن موسى بن إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليه السلام، أبو الحسن، الشريف، الرضي، الموسوي، ولد سنة تسع وخمسين وثلاث مئة، وحفظ القرآن في مدّة يسيرة بعد أن جاوز ثلاثين سنة، وعرف الفقه والفرائض والنحو واللغة، وقال الشعر وترسل، وكان عالي الهمة، متديناً صالحاً ورعاً، ولقّب بهاء الدولة برضي الدين أبي الحسين، وولي نقابة الطالبين ببغداد، وكان جواداً سمحاً ممدّحاً، طاهر العِرض، نقياً من الدنس، وصنّف كتباً كثيرةً، منها: كتابٌ في معاني القرآن، يتعدّر وجودٌ مثله.

وبلغ من ورعه أنه اشترى جزءاً من امرأة بخمسة دراهم، فوجد فيه جزء أبي علي بن مُقّلة، فأرسل إلى المرأة وقال: قد وجدتُ جزءاً بخط ابن مُقّلة قيمته خمسة دنانير، فإن شئتِ خذي الجزء، وإن شئتِ خمسة دنانير. فقالت المرأة: أنا بعْتُ الجزء بما فيه بخمسة دراهم، ولا آخذُ شيئاً. فألحَّ عليها، فأخذتِ الدنانير، ودَعَتْ له.

وقال الخالغ: مدحتُ الرضيّ بقصيدة، فجاءني غلامه بتسعةٍ وأربعين درهماً، فقلت: لا شكَّ أن الغلام خانني. فلمّا كان بعد أيام اجتزتُ بسوق العروس، فرأيتُ رجلاً يقول لآخر: اشترِ هذا الصحن فإنه يساوي خمسة دنانير، ولقد أُخرج من دار

(١) تاريخ بغداد ٢/٢٤٦-٢٤٧، والمنتظم ١١٥/١١٥ - ١١٩، وبتيمة الدهر ٣/١٥٥ - ١٧٨. وينظر السير ١٧/٢٨٥.

الرضي فيبع بتسعة وأربعين درهماً، فعلمت أنني مدخته وهو مضيق. فباع الصحن،
وأنفذ ثمنه إليّ.

قال أبو الحسين بن محفوظ: سمعت جماعة من أهل العلم بالأدب يقولون: إن
الرضي أشعر قريش. قال: وهذا صحيح؛ قد كان في قريش من يجيد القول، إلا أن
شعره قليل، فأما مجيدٌ كثيرٌ فليس إلا الرضي.

وقال أبو غالب بن بشران: رُفِعَ إلى القادر أن الرضي قال أبياتاً وهي: [من الخفيف]

ما^(١) مقامي على الهوان وعندي مَقُولٌ صَارُمٌ^(٢) وَأَنْفٌ حَمِيٌّ
وإباءٌ مُحَلَّقٌ بي عن الضيِّبِ مِ كَمَا رَاغَ طَائِرٌ وَحَشِيٌّ
أَيُّ عَذْرِ لَهُ إِلَى الْمَجْدِ إِنْ دُلَّ غَلَامٌ فِي غَمِّهِ الْمَشْرِفِيُّ
أَلْبَسُ الدُّلَّ فِي دِيَارِ الْأَعَادِي وَبِمَصْرَ الْخَلِيفَةُ الْعَلَوِيُّ
مَنْ أَبَوْهُ أَبِي وَمَوْلَاهُ مَوْلَا يَ إِذَا ضَامَنِي الْبَعِيدُ الْقَصِيُّ
لَفَّ عِرْقِي بِعِرْقِهِ سَيِّدَا النَّا سِ جَمِيعاً مُحَمَّدٌ وَعَلِيُّ
إِنَّ خَوْفِي فِي ذَلِكَ الرَّبْعِ أَمْنٌ وَمُقَامِي بِذَلِكَ الْوَرْدِ رِيٌّ^(٣)
قَدْ يُذَلُّ الْعَزِيزُ مَا لَمْ يُشْمَرْ لَانِطْلَاقٍ وَقَدْ يُضَامُ الْأَبِيُّ
كَالَّذِي يَقْبِسُ^(٤) الظَّلامَ وَقَدْ أَقْد مَرَمِنْ خَلْفِهِ الْهَلَالُ الْمُضِيُّ

فلما وقف عليها القادر قامت عليه القيامة، واستدعى أبا بكر محمد بن الطيب
وأنفذه إلى الشريف أبي أحمد والد الرضي، وقال: قل له: قد علمت موضعك منّا
ومنزلتك عندنا، ومعرفتنا بصدق الموالاة منك، وما تقدّم لك في خدمتنا، وما لك على
هذه الدولة من حقوق، وليس من الجائر أن تكون على خليقة نرضاها، ويكون ولدك

(١) في (خ) و (ف) والمنتظم: كم، والمثبت من ديوانه ٥٧٦/٢.

(٢) في (خ) و (ف) والمنتظم: قاطع، والمثبت من ديوانه أيضاً.

(٣) البيت في الديوان هكذا:

إِنَّ دُلِّي بِذَلِكَ الْجَوِّ عَزُّ وَأُوَامِي بِذَلِكَ النَّقْعِ رِيٌّ
وَالْأُوَامُ: الْعَطَشُ. الْمَعْجَمُ الْوَسِيطُ (أوم).

(٤) في الديوان: يخبط، والمثبت من (خ) والمنتظم.

على ما يُضادها، وقد بلغنا أنه قال شعراً هو كذا كذا، فيا ليت شعري على أيِّ مقامٍ هوانٍ وذلٍّ هو عندنا، وقد فوّضنا إليه أجلَّ المراتب والمناصب، وهي نقابة الطالبين، وإمارة الحج، وعساه لو كان بمصر ما خرج عن جُملة الرعيّة، وما رأينا على بلوغ الامتعاظ منّا مبلّغه أن تخرج بهذا الولد عن شكواه إليك، وإصلاحه على يدك. فقال الشريف أبو أحمد: واللّه ما عرفتُ هذا، ولا أنا وأولادي إلا خدّمُ الحضرة المقدّسة، والمعترفون بالحقِّ لها وبالنعمة منها، وكان من حُكم التفضّل أن تهذّب هذا الولد بإنفاذ من يحمله إلى الدار العزيزة، ثم تتقدم في تأديبه بما تفعل بأهل العرّة والحدائث.

فقال له محمد بن الطيّب: الشريف يفعلُ في هذا ما تراه الحضرة المقدّسة، فيزول ما خامرها به، فاستدعى الشريف ولديه الرضيّ والمرتضى، وعاتب الرضيّ العتاب المستوفى، فقال: ما قلتُ هذه الأبيات ولا أعرفها. فقال: فاكْتُبْ خَطَكَ للخليفة مثل ما كتبتَ في أمر صاحب مصر، واذكُرْه بما ذكرته من الادّعاء في نسبه. قال: لا أفعل. قال: فإنك تكذبني بالامتناع من مثل قولي. فقال: ما أكذّبك، ولكني أخاف الدّيلم، ومَن للرجلِ بهذه البلاد من الدّعاة. فقال: يا لله العجب، تخاف من هو منك على بلادٍ بعيدةٍ وتراقبه، وتسخط من أنت بمرأى منه ومسمّع، وهو قادرٌ عليك وعلى أهلِكَ. وتردّد القولُ بينهما، وغلظ الرضيّ الجواب، فصاح أبوه وقام، وحلف أن لا يُقيم معه في بلد، وآل إلى أن أنفذ القادرُ أبا بكر بن الطيب وأبا حامد الإسفراييني، فأخذ اليمينَ على الرضيّ أنه لم يقلِّ الشّعْر المنسوبَ إليه ولا يعرفه، واندرجتِ القصةُ على هذا.

ذكر وفاته:

تُوفِّي في يوم الأحد لستَ خلونَ من المحرم، وحضر الوزير فخرُ الملك وجميعُ الأشراف والقضاة والشهود والأعيان، ودُفِنَ في داره بالكرك، ومضى أخوه المرتضى إلى مشهد موسى ابن جعفر؛ لأنّه لم يستطع أن ينظر إلى تابوته، وصلّى عليه فخرُ الملك في الدار مع جماعة أمّهم أبو عبد الله بن المهلوس العلوي، ثم دخل الناس أفواجا فصلّوا عليه، وركب فخر الملك في آخر النهار إلى المشهد بمقابر قريش، فعزّى المرتضى، وألزمه العودَ إلى داره، ففعل، ورثاه المرتضى بمراتبٍ كثيرة، منها: [من

الكامل]

وَوَدِدْتُهَا ذَهَبَتْ عَلَيَّ بِرَاسِي
فَحَسَوْتُهَا فِي بَعْضِ مَا أَنَا حَاسِي
لَمْ يَثْنِهَا مَطْلِي وَطَوَّلُ مِكَاسِي
فَالدَّمْعُ خَيْرٌ مُسَاعِدٍ وَمَوَاسِي
وَلَرُبَّ عُمُرٍ طَالَ بِالْأَرْجَاسِ

يَا لِلرِّجَالِ لِفَجْعَةٍ جَدَمَتْ يَدِي
مَا زِلْتُ آتِي وَزَدَهَا حَتَّى أَتَتْ
وَمَطَلْتُهَا زَمَانًا فَلَمَّا صَمَّمَتْ
لَا تُنْكِرَا مِنْ فَيْضِ دَمْعِي عَبْرَةً
وَاهَا لِعُمُرِكَ مِنْ قَصِيرٍ طَاهِرٍ
وَعَاشِ الرُّضِيِّ سِتًّا وَأَرْبَعِينَ سَنَةً.

ومن شعر الرضي قال يرثي والدته: [من الوافر]

وَأَقُولُ لَوْ ذَهَبَ الْمَقَالُ بِدَائِي
لَوْ كَانَ فِي الصَّبْرِ الْجَمِيلِ عَزَائِي
أَوْ يَ إِلَى أَكْرَوْمَتِي وَحَيَائِي
وَسَتَرْتُهَا مُتَجَمَّلًا بِرَدَائِي
بِتَمَلُّمِي لَقَدْ اشْتَفَى أَعْدَائِي
لَوْ كَانَ يَرْجِعُ مَيِّتٌ بِفِدَائِي
لَتَكَدَّسَتْ عُصْبٌ وَرَاءَ لَوَائِي
ظِلُّ الرِّمَاحِ لِكُلِّ يَوْمٍ لِقَاءِي
وَنَسِيتُ فِيكَ تَعَزُّزِي وَإِبَائِي

أَبْكِيكَ لَوْ نَقَعَ الْغَلِيلَ بُكَائِي
وَأَعُوذُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيلِ مُعَزِّيًّا
طَوْرًا تُكَائِرُنِي الدَّمُوعُ وَتَارَةً
كَمْ عَبْرَةٌ مَوَّهَتْهَا بِأَنَا مِلي
أُبَدِي التَّجَلُّدَ لِلْعَدُوِّ وَلَوْ دَرَى
مَا كُنْتُ أَذْخَرُ فِي فِدَاكِ رَغِيبَةً
لَوْ^(١) كَانَ يُدْفَعُ ذَا الْجِمَامِ بِقُوَّةِ
بِمُدْرَيْنِ^(٢) عَلَى الْقِرَاعِ تَفِيؤُوا
فَارَقْتُ فِيكَ تَمَاسُكِي وَتَجَمُّلِي

ومنها:

تَمَّمْتُهَا بِتَنْفُسِ الصُّعْدَاءِ
مِمَّا أَلَمَّ فَكُنْتُ أَنْتِ فِدَائِي
فِي قَلْبِ آمَالِي وَعَكْسِ رَجَائِي
صَعْبٌ فَكَيْفَ تَفَرُّقُ الْقُرَبَاءِ

كَمْ زَفْرَةٌ ضَعُفَتْ فَصَارَتْ أَنَّةً
قَدْ كُنْتُ أَمَلُ أَنْ أَكُونَ لِكَ الْفِدَا
وَجَرَى الزَّمَانِ عَلَى عَوَائِدِ كَيْدِهِ
وَتَفَرُّقُ الْبُعْدَاءِ بَعْدَ تَأْلُفِ^(٣)

(١) في (خ) و (ف): أو، والمثبت من ديوانه ٢٦/١.

(٢) في (خ) و (ف): بمدرعين.

(٣) في الديوان: مودة.

يُبلي الرِّشَاءَ تَطَاوُحُ الأَرْجَاءِ
 قَضَى اللُّغُوبَ وَجَدَّ فِي الإِسْرَاءِ
 غِنِيَّ البِنُونِ بِهَا عَنِ الآبَاءِ
 أَثْرٌ لِفَضْلِكَ خَالِدٌ بِإِزَائِي
 بِدَلِيلِ مَنْ وَلَدَتْ مِنَ النُّجْبَاءِ
 يَوْمِي وَتُشْفِقُ أَنْ تَكُونَ وَرَائِي
 لِتَحْرِقِي آوِي إِلَى الرَّمْضَاءِ
 نَزَفْتُ عَلَيْهِ دَمُوعُ كُلِّ سَمَاءِ
 وَعَلَيْهِمْ طَبَقٌ مِنَ البَيْدَاءِ
 أَمْسَيْتُ أَوْقَرُهَا^(١) مِنَ البَوغَاءِ^(٢)
 وَنَأَوَا عَنِ الطُّلَابِ أَيَّ تَنَائِي
 وَرَدَ الظَّلَامُ بِوَحْشَةِ العَبْرَاءِ
 لِكَ فِي الدُّجَى بَدَلٌ مِنَ الأَضْوَاءِ
 دَاءٌ وَقَدَّرَ أَنَّ ذَاكَ دَوَائِي
 تُرَضِيكَ رَحْمَتُهُ صَبَاحَ مَسَاءِ

وتداولُ الأيامِ يُبلينا كما
 وكانَ طولَ العمرِ رُوحَهُ رَاكِبِ
 لو كانَ مِثْلَكَ كُلُّ أُمَّ بَرَّةٍ
 كَيْفَ السُّلُوْ وَكُلُّ مَوْعٍ لِحِظَةٍ
 شَهَدَ الخَلَائِقُ أَنَّهَا لِنَجِيْبَةٍ
 قَدْ كُنْتُ أَمَلُ أَنْ يَكُونَ أَمَامَهَا
 آوِي إِلَى بَرْدِ الظَّلَالِ كَأَنِّي
 يَا قَبْرُ أَمْنَحُهُ الهَوَى وَأُوذُ لَوْ
 لَهْفِي عَلَى القَوْمِ الأَلَى غَادَرْتُهُمْ
 صُورٌ ضَنَنْتُ عَلَى العَيُونِ بِلِحِظِهَا
 قَرُبْتُ ضَرَائِحُهُمْ عَلَى زَوَارِهِمْ
 مَعْرُوفِكَ السَّارِي^(٣) أَنَيْسِكَ كَلَّمَا
 وَضِيَاءٌ مَا قَدَّمْتِهِ مِنْ صَالِحِ
 كَمْ أَمْرٍ لِي بِالتَّصْبِرِ هَاجَ لِي
 إِنَّ الَّذِي أَرْضَاهُ فَعَلَّكَ لَا يَزَلُ
 مِنْ آيَاتِ.

وقال أيضاً: [من الخفيف]

وَقَفَاتِ الرِّكَائِبِ الأَنْضَاءِ
 وَبِجَمْعِ مَجَامِعِ الأَهْوَاءِ
 بِأَعَالِي مَنَى وَمَرَسَى خِبَائِي
 وَلِلْبَيْنِ وَعَدُّ لَيْسَ فِيهِ كِذَابُ

حَيٌّ بَيْنَ التَّقَا وَبَيْنَ المُصَلَّى
 وَرَوَاحِ الحَجِيحِ لَيْلَةَ جَمْعِ
 وَتَذَكُّرِ عَنِّي مُنَاخِ مَطِيِّي
 وقال: [من الطويل]

ولمَّا أبى الأظعانُ إلا فراقنا

(١) أوقرها: أحملها. المعجم الوسيط (وقر).

(٢) البوغاء: التراب. المعجم الوسيط (بوغ).

(٣) في الديوان: السامي.

يرومُ نزولاً للجوى فيهب
إذا بانَ أحبابٌ وعزَّ إيابُ

أم القلبُ يلقى روعةً^(١) من وجيبه^(٢)
يعودُ فتلهي ناظراً عن غروبه
وأظما إلي رياء اللوى في هبويه
وئمسي صحيحاً مأوؤه في قلبه

كأنني لمن بالأجرعين نسيبُ
أغضُّ جفوني أن يُقال مُريبُ

وطلؤها بيد البلى نهبُ
نضوي^(٥) ولجَّ بعذلي الركبُ
عني الطلولُ تلفت القلبُ

قال المصنف رحمه الله تعالى: حكى لي مؤيد الدين وزير الخليفة المستعصم ببغداد في سنة أربع وأربعين وست مئة، قال: مرَّ رجلٌ بالكرخ على دارٍ خراب، فوقف عليها، وتمثل بهذه الأبيات، فقال له بعضُ الجيران: أتدري لمن هذا الشعر؟ قال: لا والله. قال: هذا للرضي، وهذه داره. فقال: [من مجزوء الرمل]

مي بجزع السُّمَّراتِ
ومننى والجَمَّراتِ

رجعتُ ودمعي جازعٌ من تجلدي
وأثقلُ محمولٍ على العينِ ماؤها
وقال من أبيات: [من الطويل أيضاً]

هل الطَّرْفُ يُعطي نظرةً من حبيبهِ
وهلٌ لليالي عَظْفَةٌ بعد نَفرةٍ
أجنُّ إلى نورِ اللوى في بطاحه
وذاك الحمى يغدو عليلاً نسيمةً
وقال أيضاً: [من الطويل]

أحبُّ الثرى النجديَّ من أجرع^(٣) الحمى
إذا هبَّ علويُّ النسيمِ رأيتني
وقال: [من الكامل]

ولقد مررتُ على ديارهم
فوقفتُ حتى عَجَّ من عجب^(٤)
وتلفتتُ عيني فمذْ خفيتُ

مَنْ مُعيذٌ لي أيَّا
ولياليِّ بجَمعٍ

(١) في الديوان: راحة.

(٢) الوجيب: تحرك القلب تحت أبهره. اللسان (بهر).

(٣) الأجرع: المكان الواسع الذي فيه حزنونة وخشونة. اللسان (جرع).

(٤) هذا الشطر في وفيات الأعيان ٤/٤١٧، والوافي بالوفيات ٢/٣٧٦، وفي غيرها من المصادر:

فيكيث حتى صَحَّ من لَب.

(٥) النَّضُو: الثوب الحَلَق. اللسان (نضو).

فِي ظِلَالِ السَّلَامَاتِ
بِكَلَامِ الْعَبَّاتِ
رِطْوِيلِ اللَّفَّتَاتِ
بِلِقَاءِ غَيْرِ آتِ
حَئِيفَ صَوْبِ الْغَادِيَاتِ
شَوْقِ مَمْرُورِ الْجَنَاتِ
وَطَبِيبِ لِسْكَاتِي^(١)

يَا وَقُوفاً مَا وَقُفْنَ
تَتَشَاكِي مَا عَنَانَا
أَهْ مِنْ جِيدِ إِلَى الدَّا
وِغَرَامِ غَيْرِ مَاضِي
فَسَقَى بَطْنَ مَنَى وَالْ
غَرَسَتْ عِنْدِي غَرَسَ الْ
أَيْنَ رَاقٍ لِعَرَامِي
وقال: [من الكامل]

رَفُ^(٣) الْمُطَهَّمِ^(٤) وَالْأَغْرُ الْأَقْرَحُ^(٥)
وَعَوَتْ لِشَهْرَتِهِ الْكَلَابُ النَّبْحُ
غَلَّسْتُ فِي طَلْبِ الْعُلَا وَتَصَبَّحُوا
وَمَتَّحْتُ بِالْغَرْبِ^(٩) الَّذِي لَمْ يَمْتَحُوا
لَمْ يَطْعِنِ الْأَعْدَاءُ فِيَّ وَيَقْدَحُوا
عَيْنَ الرِّضَا لِاسْتَحْسَنُوا مَا اسْتَقْبَحُوا

ذُنْبِي إِلَى الْبُهْمِ الْكُودَانِ^(٢) أَنَّنِي الطُّ
مِنْ حَيْفَ خَوْفِ اللَّيْلِ حُطَّ لَهُ الرُّبَى^(٦)
يُولُونَنِي خُزْرُ^(٧) الْعُيُونِ لِأَنَّنِي
وَجَذَبْتُ بِالطَّوْلِ^(٨) الَّذِي لَمْ يَجْذِبُوا
لَوْلَمْ يَكُنْ لِي فِي الْعُيُونِ مَهَابَةٌ
نَظَرُوا بَعِينَ عِدَاوَةً لَوْ أَنَّهَا
وقال أيضاً: [من الطويل]

فَلَا قِي بِهَا لَيْلًا نَسِيمَ رَبًّا نَجْدِ
وَبِالرَّغْمِ مَنِيَّ أَنْ يَطُولَ بِهِ عَهْدِي

خُذِي نَفْسِي يَا رِيحَ مِنْ جَانِبِ الْجَمِي
فَإِنَّ بَذَاكَ الْجَوْ حَبًّا^(١٠) عَهْدْتُهُ

(١) الأبيات في ديوانه ٢١٨/١.

(٢) في الديوان ٢٥٩/١: الكواذب. والكوادن جمع كودن: وهو البطيء الثقيل في مشيته. المعجم الوسيط (كدن).

(٣) الطُّرف: الكرم. المعجم الوسيط (طرف).

(٤) الْمُطَهَّم: التام من كل شيء. المعجم الوسيط (طهم).

(٥) الْأَقْرَح: هو الذي في جبهته قُرْحة، أي: يياض بمقدار الدرهم. المعجم الوسيط (قرح).

(٦) الرُّبَى: جمع رُبَيْة، وهي حفرة تحفر للأسد.

(٧) الْخُزْر: ضيق العين وصغرها. الصحاح (خزر).

(٨) الطَّوْل: الحبل تُربط به قائمة الدابة. معجم متن اللغة (طول).

(٩) مَتَّحَ الماء: نزعه واستخرجه، والغَرْب: الدلو العظيمة. المعجم الوسيط (متح) و(غرب).

(١٠) في الديوان ٣٨٩/١: فَإِنَّ بَذَاكَ الْحَيَّ الْفَأْ.

بِذِكْرِ تَلَاقِينَا قَضَيْتُ مِنَ الْوَجْدِ
رُكْبِيًّا مِنَ الْغُورِينَ أَنْضَاؤُهُمْ تَخْدِي
هَلْ ارْتَبِعُوا وَاخْضُرَّ وَاذِيهِمْ بَعْدِي
فَأَمْطَرْتُهَا دَمْعِي وَأَفْرَشْتُهَا خَدِّي
وَهِيَهَاتَ ذَا يَا بَعْدَ بَيْنَهُمَا عِنْدِي
تَنْفَسَ شَاكٍ أَوْ تَأَلَّمَ ذُو وَجْدٍ
فَتَوْقِظْنِي مِنْ بَيْنِ نَوْمِهِمْ وَخَدِي
وَمَا وَرَدُوا فِي الْحَبِّ إِلَّا عَلَى وَرْدِي

ولولا تداوي القلب من ألم الجوى
ويا صاحبي اليوم عوجا لتسألا
عن الحي بالجرعاء جرعاء مالك
شممت بنجد شيحة حاجرية
ذكرت بها ري الحبيب على التوى
واني لمجلوب إلى الشوق كلما
تعرض رسل الشوق والركب هاجد
وما شرب العشاق إلا بقيتي
وقال: [من البسيط]

خَلَّفْتَ نَجْدًا وِرَاءَ الْمُذَلِّجِ السَّارِي
مِنَ الْجَمِي فِي أُسَيْحَاقٍ وَأَظْمَارٍ^(٢)
عِنْدَ الْقُدُومِ لِقُرْبِ الْعَهْدِ بِالذَّارِ
وَحَدَّثَانِي عَنِ نَجْدٍ بِأَخْبَارِ
خَمِيلَةَ الطَّلْحِ ذَاتِ الْبَانِ وَالْغَارِ
دَارِي وَسُمَّارُ ذَاكَ الْحَيِّ سُمَّارِي
وَحَدَّثَ الرُّكْبَ عَنِّي دَمْعِي الْجَارِي

يا قلب ما أنت من نجد وساكنه
أهفو إلى البان تعلق لي خمائله^(١)
تفوح^(٣) أرواح نجد من ثيابهم
يا راكبان قفا بي واقضيا وظري
هل روضت قاعة الوعاء أم مطرت
أم هل أبيت ودار عند كاظمة
فلم يزالا إلى أن نم بي نفسي
وقال أيضا: [من الرجز]

إِنْ كُنْتِ يَوْمًا تَأْخِذِينَ أَوْ ذَرِي
لَمَثَلِهَا يَنْصُفُ سَاقِي مِئْزَرِي
حَطَّ الْمَشِيبُ رَحْلَهُ فِي شَعْرِي
أَوْنَةُ الشَّيْبِ انْقِضَاءُ الْعُمُرِ

يا نفس إن عن المراد فحذي
نُهزة مجد كنت في طلابها
وكيف بالعيش الرطيب بعدما
عمر الفتى شبابه وإنما

(١) في الديوان ٥١٧/١: أهفو إلى الركب يعلو لي ركايتهم.

(٢) أسحاق؛ تصغير إسحاق، وهو من السحق، والسحق من الثياب: الخلق البالي. المعجم الوسيط (سحق).

وأظمار؛ جمع ظمر، وهو بمعنى أسحاق.

(٣) في الديوان: تضرع.

أشكو إليه عُجْرِي وُبُجْرِي
عَجَّتْ من الصَّيْمِ عَجِيحَ الأذْبَرِ^(١)
جَرَّدَنِي الرَّوْعُ لَبَانَ جَوْهَرِي
فَرُبَّمَا دَلَّ عَلَيَّ مَنْظَرِي
قد ضَمِنَ الإِقْبَالَ أن لا تَعِثْرِي

وَهَلْ لِثَنِيَّاتِ الغُويِرِ طُلُوعُ
وَهَلْ لِيَلِيَالِنَا القِصَارِ رُجُوعُ^(٣)

وَقَفَ الغَرَامُ بِنَا وما وَقَفُوا
يَوْمَ النَّوَى ودموعنا تَكِفُ
منهُ وفي أَيْدِي النَّوَى طَرَفُ
أَمْ طيِبُ ذَاكَ العَيْشِ مُؤْتَنَفُ
وَيَلِدُ ذَاكَ المَاءِ مُرْتَشِفُ^(٤)

حَاجَةٌ لِلْمَتِيْمِ المِشْتَاقِ
فبِلاغِ السَّلَامِ بَعْضِ التَّلَاقِ
أَنَّ قَلْبِي إِلَيْهِ بِالأَشْوَاقِ
وَهَوَى ما أَظْنُهُ اليَوْمَ باقِ
ومنى عِنْدَ بَعْضِ تِلْكَ الحِداقِ

ألا صديقُ في الزَّمانِ ما جَدُّ
يَعْتِقُ من رِقِّ الهوى حُشاشَةً
ما أنا إِلَّا النَّضْلُ مغموداً ولَوْ
دونَكَ فأنظُرْ إن جهَلْتَ مَحْبِرِي^(٢)
يا قَدَمِي دونَكَ مَسْعَاةَ العُلَى

وقال: [من الطويل]

ألا هَلْ إلى ظِلِّ الأثيلِ تَخْلُصُ
وَهَلْ لِيَلِيَالِنَا الطُّوالِ تَصْرُمُ

وقال: [من الكامل]

لا يُبْعِدُ اللَهُ الذِينَ نَأُوا
لم أَنَسَ موقِفَنَا وموقِفَهُمْ
حَبْلُ غدا بِأَكْفُنَا طَرَفُ
هَلْ حُسْنُ ذَاكَ العَهْدِ مُرْتَجِعُ
أَمْ هَلْ يُباحُ الوِرْدُ ثانِيَةً

وله: [من الخفيف]

أَيُّها الرِّائِحُ المُغْدُ تَحْمَلُ
أَقْرِ عَنِّي السَّلَامَ أَهْلَ المُصَلَّى
وإذا ما مررتَ بِالحَيْفِ فاشْهَدْ
وإذا ما سُئِلْتَ عَنِّي فَقُلْ: نِضْ
ضاع قَلْبِي فانشُدْ لي بَيْنَ جَمْعِ

(١) البيت في الديوان ٤٧٩/١ :

يَعْتِقُ من رِقِّ الهوانِ عاتقاً

(٢) الشطر في الديوان ٤٧٧/١ : دونك فانظري فإن جهلتي.

(٣) البيتان في ديوانه ٦٥٦/١ .

(٤) الأبيات في ديوانه ٢٢/٢ - ٢٣ .

عَجَّ من الصَّيْمِ عَجِيحَ الموقِرِ

وابك عني فطالما كنت من قبل

وقال أيضاً: [من مجزوء الرمل]

اشتر العز بما بي

بالقصار البيض^(٢) إن شئت

ليس بالمغبون عقلاً

إنما يُدخّر الما

والفتى من جعل الأم

وقال: [من الطويل]

وإنني إذا اضطكت رقاب مطيكم

أخالف وضع راحتين على الحشا

وقال [من الطويل]:

مقيم بأطراف الثنايا صباة

وأسأل خفاق النسيم إذا حدا

وأستشرف الأعلام حتى تدلني

وما أنسم الأرواح إلا لأنها

وقال أيضاً [من الطويل]:

وليس الفتى إلا الذي إن رأيتهُ

وفي نظري عنوان ما بين أضلعي

ومن جعل القلب الجريء أمامه^(٥)

وقال: [من البسيط]

أعير الدموع للعشاق^(١)

ع فما العز بغال

ت وبالشمر العوالي

من شرى عزاً بمال

ل لحاجات الرجال

والأثمان المعالي

وثور حاد بالفراق عجول

وأنظر أني ملتم فأميل^(٣)

أسائل عن أظعانكم كل قادم

من الغرب أعناق المطي الرواسم

على طيبها مر الرياح النواسم

تمر على تلك الربا والمعالم^(٤)

رأيت غني النفس في ثوب مُعدم

ورب لحاظ نائب عن تكلم

فكل ظلام عنده غير مُظلم

(١) الأبيات في ديوانه ٧٩/٢.

(٢) في الديوان ٢٤٤/٢: الضفر.

(٣) البيتان في ديوانه ٢٢١/٢ والمُتَمي من لَم الشيء، أي: ضربه معجم متن اللغة ١٤٨/٥.

(٤) البيتان الأخيران في ديوانه ٤٣١/٢.

(٥) في الديوان ٤٠١/٢: وليله.

لَهُ بذي الرَّمْلِ^(١) أوطارٌ وأطانٌ
وما بي البانُ بَلْ مَنْ دارُهُ البانُ
أَلَا يُهَيِّجَ سِرَّ الوَجْدِ إعلانُ
للعينِ والقلبِ أمواهٌ ونيرانُ

وقال: [من البسيط]

ما هاجَ نَوْحُكَ لي يا طائرَ البانِ
إنَّ الطليقَ يُوَدِّي حاجةَ العاني
يومَ الرَّحيلِ وَوَأشوقا إلى الجاني
وعندَ رامةٍ أوطاري وأوطاني
ولا بَلَلْتُ بماءِ العينِ أجفاني^(٢)

لا يُذَكِّرُ الرَّمْلُ إِلَّا حَنَّ مُغْتَرِبٍ
تهفو إلى البانِ من قلبي نوازِعُهُ
أَسَدٌ سمعي إذا غَنَّى الحَمَامُ بِهِ
إذا تَلَفَّتْ في أطلالِها ابتدرتْ

وقال: [من الطويل]

يا طائرَ البانِ غَرِيداً على فَنَنِ
هل أنتَ مُبْلِغٌ مَنْ هامَ الفؤادُ بِهِ
جِنَايَةً ما جناها غيرُ مُقْلَتِهِ
لولا تَذَكُّرُ أيامي بذي سَلَمِ
لما قَدَحْتُ بنارِ الشُّوقِ في كبدي

بماءِ العَوادي بعدَ ماءِ شُؤوني
مَحَبَّةَ دُخْرِ باتٍ عندَ ضننينِ^(٣)

فيا بانتي بطنِ العقيقِ سُقَيْتُما
أَحْبُبُكما والمستجِنَّ بظيبيَّةِ

وقال: [من الطويل]

تَحُلُّونَ من بعدي العقيقَ اليمانيا
وَنَجْداً وكُثبانَ اللوى والمطاليا
وقولوا لذيغٍ يبتغي اليومَ راقيا
تُراكمُ مَنِ استبدلْتُمُ بجواريا
لَهُ ورعى العُشْبَ^(٤) الذي كنتُ راعيا
تذوبُ عليها قطعةٌ من فؤاديا

أقولُ لركبِ رائحينَ لعلَّكمُ
خُذُوا نظرةً مِنِّي فلاقُوا بها الجِمْي
ومُرُّوا على أبياتِ حيِّ برامةِ
وقولوا لجيرانِ على الخَيْفِ من مِنِّي
ومَنْ وردَ الماءَ الذي كنتُ وارداً
فوالهَفَّتِي كَمْ لي على الخَيْفِ شهقةٌ

(١) في (خ): البان، والمثبت من الديوان ٤٤٩/٢.

(٢) الأبيات في ديوانه ٤٧٥/٢.

(٣) البيتان في ديوانه ٤٨٥/٢.

(٤) في ديوانه ٥٧٠/٢: الروض.

ترَحَّلْتُ عَنْكُمْ لِي أَمَامِي نَظْرَةً وَعَشْرٌ وَعَشْرٌ بَعْدَكُمْ مِنْ^(١) وَرَائِيَا
 وَقَالَ أَيْضاً: [مِن الطَوِيلِ]
 فَعَنْدِي زَفِيرٌ مَا تَرَقَّى إِلَى الْحَشَى وَعَنْدِي دَمَوْعٌ مَا بَلَغْنَ الْمَاقِيَا
 وَلَا خَيْرَ فِي الدُّنْيَا إِذَا كُنْتُ حَاضِراً وَكَانَ الَّذِي يَغْرَى بِهِ الْقَلْبُ نَائِيَا
 وَمَا شَبْتُ مِنْ طَوْلِ السِّنِينَ وَإِنَّمَا غُبَارُ قَضَايَا الدَّهْرِ غَطَّى سَوَادِيَا
 وَمَا كَلُّ مَنْ أَوْمَى إِلَى الْعِزِّ نَالَهُ وَدُونَ الْعُلَى ضَرْبٌ يُدَمِّي النَّوَاصِيَا^(٢)
 وَمِنْ نَثْرِهِ: وَمَا أَنَا إِلَّا غَرَسُهُ الَّذِي سَقَاهُ مَاءُ الْكِرْمِ، فَأَثْمَرُ الْكَلِمِ، وَحَسَامُهُ الَّذِي
 حَلَاهُ، فَأَهْدِي إِلَيْهِ مِنْ حُلَاهُ.

السنة السابعة وأربع مئة

فيها في يوم الجمعة سابع مُحَرَّم توجَّه فخر الملك من بغداد إلى الأهواز، وقُبِضَ عليه، وسنذكره إن شاء الله تعالى.

وفيها كانت وقعةٌ بين سلطان الدولة أبي شجاع وأخيه أبي الفوارس، فانهزم أبو الفوارس بعد ما دخل شيراز وملكها.

قال هلال بن الصباي: في يوم الاثنين سابع مُحَرَّم خرج سلطان الدولة من الأهواز لقتال أبي الفوارس، وقَدَّم بين يديه الدَّيْلَمَ والعساكرَ، وكان أبو الفوارس في شيراز، فخرج منها لسبع بقين من ربيع الآخر، ولم يتبعه أحدٌ من عسكر سلطان الدولة، ودخل سلطانُ الدولة البلدَ، وقصد أبو الفوارس كرمان، وتسَلَّلَ إليه الدَّيْلَمُ، وكان سلطانُ الدولة قد استوزرَ الأوحَدَ أبا محمد، فأساء إلى الدَّيْلَمِ، وقبض عليهم، فمضوا إلى أبي الفوارس، وبعث الأوحَدُ الجواسيسَ خلفه، فعادوا، وأخبروه أنه^(٣) أخذَ طريقَ إصْطَخِرَ على ضعفٍ وقلَّةٍ، فأشار الأوحَدُ بتجريد عساكر خَلْفَه، فقال سلطان الدولة: أنا أتبعه. فخرج من شيراز، وبلغ أبا الفوارس، فقيل له: ارجع إلى شيراز، فإنَّ أموال

(١) في الديوان: نحوكم لي.

(٢) الأبيات في ديوانه ٥٨٦/٢-٥٩٠.

(٣) في (خ): أنهم، والمثبت من (ف).